إنصاف البيت المظلوم (*)

شباب قنع لا خير فيهم

للأســـتاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ١ —

شباب قنع لا خـــير فيهم ويورك في الشباب الطامعينا

قال هذا البيت (أحمد شوقي) رحمه الله في قصيدته الشهيرة (نهضة عنخ أمون) وقبله :

فقالي في بنيك الصيد غالي فقد حب الغلو إلى بنينا

والبيتان فيهما مدح عظيم لبني مصر ولشبابها محبي الغلو الطامعين ...

فكيف رآه الأديب (محمود) صاحب (كلمات) في (البلاغ) يوم السبت — ذما ؟

وكيف يكون شاعر مصر والعرب كلهم أجمعين قد هجا شباب مصر وهو يقالي في بيتيه في مدحهم ؟

إن البيت الأول يوضح الثاني ، والثاني يوضح الأول ، وإذا فهم البيتان جيداً استيقن أن هناك مدحاً عظيما . وقد قالوا : إذا أردت إعراب بيت فافهم معناه ، وإذا أردت فهم معناه فأعربه ، فتعال إلى إعراب (شباب قنع لا خير فيهم) (شباب) مبتدأ و (قنع) نعت ، وجملة (لاخير فيهم) خبر المبتدأ .

فإن قلت . قد جاءني الإشكال لأني أعربت (شباب) خبر المبتدأ محذوف تقديره هم ، قيل لك : البيت الأول والشطر الثاني من البيت الثاني يظاهران إعرابنا هذا ، ويثبتان أن البيت مدح ، مدح كبير ...

— ٢ —

من لصعب الأشياء في الدنيا توضيح الواضح .

قلت : إن بيت شوقي مدح ، وقلت ليفهم البيتان جيداً ، وجئت بما جئت به . فبقي الأديب (محمود) حيث تركناه لم يتحلحل ، ووجدناه يقول : « بل القول ذم ، وكأن معنى البيتين هو : فقالي في بنيك الصيد غالي فقد حب الغلو إلى بنينا الذين هم شباب قنع لا خير فيهم ، ويورك في الشباب الطامعين » .

فقد حب الغلو إلى بنينا الذين هم شباب قنع لا خير فيهم ما هذه المسلطة(١) ؟ هل لنا شوقي بما حكيت ، هل نظم ما نثرت ، وهل هذا من كتاب (الوشي المرقوم في حل المنظوم) لابن الأثير(٢) ؟ ...

الذي قلته في كلمتي السابقة هو كاف شاف ولكن هذا الأديب ، حاله تسأل زيادة ، فله ما يريد :

١ — ليس المقام في قول شوقي مقام ذم ، ولكل مقام مقال ، وقد جاء البيت يعزز الذي قبله ، وهو بيت حكيم أرسله شوقي مثلا كأبي المتنبي في حكمه وأمثاله التي تؤيد مقاصده في أقواله .

٢ — كيف يصف شوقي شباب مصر أنهم مغالون وأنهم قانعون وكيف يقنع المغالي ، وكيف يغالي القانع ؟

دع ميزان الذوق واللغة و (الإعراب) وخذ ميزان العقل وزن ...

٣ — رأى الأديب محمود أن البيت ذم إذ يدعو إلى حب الغلو ، وقال في كلمته : « وكانت العرب تقول وهي تذم (ما عنده من المعالي إلا الرمي بالمغالي) أي الغلو والادعاء والتجاوز عن الحد » .

وقد فهم الناقد السجمة كما فهم بيتي شوقي والمعنى الصحيح هو (ما عنده من المعالي إلا الرمي بالسهام) والمغالي جمع مغلاة وهي السهم يغلى به أي يرمى به لا « الغلو والادعاء والتجاوز عن الحد(٣) » .

والقول الذي نسبه إلى العرب هو للزمخشري ، وهو من سجعات الأساس ، وقد جاء في هذا الكتاب : « غلا بسهمه وغالى به وتغالينا بالسهام ، وتراسينا بالمغالي ، وتقول : ما عنده من المعالي إلا الرمي بالمغالي ، وتقول : أنا لا أحب الغلو في الدين ، والغلاء في السعر ، والغلاء في الرمي » .

(*) من كتاب (أمالي النشاشيبي) وحقوق الطبعة للطبع .

(١) المسلطة : الكلام على غير نظام .

(٢) قال ابن خلكان كتاب الوشي المرقوم في حل المنظوم وهو مع وجازته في غاية الحسن والإفادة » طبع في بيروت سنة ١٢٩٨ ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية .

(٣) في الأساس : جزت المكان وأجزته وجاوزته وتجاوزته وتجاوز عن المسيء وتجاوز عن ذنبه . وفي اللسان : تجاوز عن الشيء أغضى ، وتجاوز فيه أفرط .